فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

نقد تاريخ الادب العربي

— ٥ —

تاريخ « اما بعد »

ونقل في ص ١٩ بترجمة قس بن ساعدة « ويقال انه اول من خطب على شرف واتكأ على سيف وقال في خطبه : أما بعد » قلنا : وكذلك نقل عبد القادر البغدادي من كتاب المعمرين لابي حاتم السجستاني انه اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية ، واول من توكأ على عصاً واول من قال : أما بعد ، واول من كتب : من فلان بن فلان (١) » ولكن نقل السيوطي من امالي ثعلب « حدثنا عمر ابن شيبة ، حدثنا ابراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن ابي ثابت ، حدثنا محمد بن عبد العزيز عن ابيه عن ابي سلمة ابن عبد الرحمن قال: أول من قال (أما بعد) كعب بن لؤي وهو اول من سمى يوم الجمعة الجمعة وكان يقال له العروبة(٢). » فهذه الرواية أقوى من تلك . وكعب بن لؤي اقدم من قس كثيراً وهو الجد السابع لرسول الله — ص — فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي واذا تعارضت روايتان في مثل هذا فالقدم اولى من الحداثة .

أمن شعر قس هذا ؟

وقال في ترجمة قس بن ساعدة المذكور بصفحة ٢٠ « ومن شعره قوله يرثي أخوين له وقد وقف على قبريهما بدير سمعان :

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أجدكما لا تقضيان كراكما ؟

ألم تعلما أني بسمعان (٣) مفرد ... وما لي فيه من حبيب(٤) سواكما

١) الخزانة «١ : ٣٧٦ » (٢) المزهر « ١ : ٨٩ » (٣) في الخزانة « براوند » على رواية (٤) في الخزانة « خليل » .

أقيم(١) على قبريكما لست بارحاً طوال الليالي أو يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما(٢) كأن الذي يسقي العقار سقاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية لجدت بنفسي ان تكون فداكما
سابكيكما طول الليالي وما الذي يرد على ذي عولة إن بكاكما ؟

ووردت نسبته كذلك الى قس في « ١ : ٣٦٩ » من خزانة الادب ، ثم قال في ص ٣٧٣ « أورد أبو تمام في الحماسة هذه الابيات على غير هذا النمط وقال: ذكروا ان رجلين من بني اسد خرجا الى اصبهان فآخيا بها دهقاناً في موضع يقال له «راوند » فمات احدهما ، وبقي الآخر ، والدهقان، يندمان قبره ويشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً فمات الدهقان؛ فكان الاسدي ينادم قبريهما ويشرب قدحاً ويصب على قبريهما قدحين ويترنم بهذا الشعر : خليلي هبا طالما ... وروى الاصبهاني في الاغاني بسنده الى يعقوب بن السكيت أن هذا الشعر لعيسى بن قدامة الاسدي . قدم قاشان وله ندمان فماتا ، فكان يجلس عند قبريهما ، وهما براوند ، بموضع يقال له «خزاق»(٣) فيشرب ، ويصب على القبرين ، حتى يقضي وطره ، ثم ينصرف ، وينشد وهو يشرب ، وروى ما رواه أبو تمام وزاد عليه» قال : رواه ابو تمام :

ألم تعلما مالي براوند (٤) كلها ولا بخزاق(٥) من صديق سواكما ؟
أصب على قبريكما من مدامة فإلا تنالاها تروحناكما
جرى النوم بين الجلد واللحم منكما كأنكما ساقي العقار سقاكما

وزيادة الاصبهاني :

تحمل من يبقي العقول وغادروا أخالكما اشجاه ما قد شجاكما

١) في الخزانة « مقيم » (٢) فيها « أمن طول نوم لاتجيبان داعياً ؟ » (٣) سيأتي الكلام على خزاق . (٤) راوند : بليدة قرب قاشان واصفهان ، قال حمزة : اصلها اهاوند ومعناها الخير المضاعف ، قال بعضهم : راوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الاكبر بن هراسف الضحاك (الخزانة) . (٥) بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وآخره قاف موضع في سواد اصفهان . كذا في المعجم لابي عبيدة ، وانشد هذا البيت، ورأيت في هامشه بخط من يوثق به : خزلق اسم قرية من قرى راوند من اعمال اصفهان (الخزانة) .

واي اخ يجفو أخاً بعد موته ؟ فاست الذي من بعد موت جفاكما
أناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجاباً صوته من دعاكما
قضيت بأني لا محالة هالك وأني سيعروني الذي قد عراكما

قال عبد القادر : « وروى الاصبهاني ايضاً بسنده الى عبد الله بن صالح البجلي أنه قال : بلغني ان ثلاثة نفر من اهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج الى الديلم وكانوا يتنادمون ولا يخالطون غيرهم وانهم لعلى ذلك اذ مات احدهم فدفنه صاحباه فكانا يشربان عند قبره فاذا بلغه الكأس هرق على قبره وبكيا ثم ان الثاني مات فدفنه الباقي الى جنب صاحبه وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ويصب كأسين عليهما ويبكي ويقول — ثم ذكر الابيات التي تقدم ذكرها — وقال: خزاق مكان براوند بقزوين . قال: وقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء . قال الاصبهاني : وذكر العتبي عن ابيه ان الشعر للحزين بن الحرث أحد بني عامر بن صعصعة وكان احد نديميه من بني اسد والآخر من بني حنيفة ، فلما مات احدهما كان يشرب ويصب على قبره ويقول :

لا تصر دهامة من كأسها واسقه الخمر وان كان قبر
كان حراً فهوى في من هوى كل عود ذي شعوب ينكسر

ثم مات الآخر فكان يشرب على قبريهما ويقول : خليلي هيا ... وأما ابو عبيدة في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان فقد نسبا هذه الابيات للاسدي [اي عيسى بن قدامة المتقدم الذكر] وذكرا حكايته كابي تمام . ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : ان هذا الشعر لقس بن ساعدة في خليلين كانا وماتا . وقال آخرون: هذا الشعر لنصر بن غالب يرثي به اوس بن خالد وزاد في الابيات ونقص ... » اه كلام البغدادي — رحمه الله — وهو غاية في التحقيق ، فاسناد الابيات الى قس على طريقة الايمان والايقان ليس على شيء من التحري في الرواية ولا على شفاً من التمحيص ولا بعد الفتن . فالاولى للاستاذ الزيات ان يذكر هذه الابيات في معرض اضطراب الرواية للشعر العربي واختلاف الرواة لا غير .

دين عمرو بن معد يكرب الزبيدي

وقال في ص ٢١ بترجمة عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهو يعني عمراً

« ولكن قلباً شاب في الجاهلية الجهلاء : ورتع في الدماء والاشلاء ، واستهتر في اللهو والصهباء ، لا يقبل على الدين باخلاص وصدق فارتد بعد اسلامه ، ثم رجع الى الحق وجاهد في الله حق جهاده » . ونحن لا نرى لهذا التعليل وجاهة لان كثيراً من اصحاب الرسول الصالحين كانوا قد شابوا في الجاهلية الجهلاء ، واستهتروا باللهو والصهباء ، والفوا الدماء والاشلاء ، أفلم يقبلوا على الاسلام باخلاص ولا بصدق ؟ فالزبات نفسه قال عنه : « لقي النبي — ص — لدى منصرفه من تبوك سنة تسع من الهجرة فاسلم هو وقومه » فهو قد دخل في الاسلام مختاراً لا مضطراً ، ويظهر لنا انه كان في وفد مذحج على النبي — ص — وكان سيد الوفد ظبيان بن حداد في سراة بني مذحج (١) ولم يرتد هو وحده حتى يصح في حاله ذلك التأويل وانما ارتدت مذحج وهو فرد منها . وذلك ان رسول الله — ص — أمر على مذحج فروة بن مسيك المرادي فأساء السيرة ونابذ عمراً هذا ففارقه في كثير من قبائل مذحج . فاستجاش فروة رسول الله — ص — عليه وعليهم ، فارسل خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد بعده في سرية في سرية ثانية وعلي بن ابي طالب — ع — في سرية ثالثة وكتب اليهم : « كل واحد منكم امير من معه فاذا اجتمعتم فعلي أمير الكل » فاجتمعوا بموضع من ارض اليمن يقال له « كسر » فاقتتلوا هناك وصمد عمرو بن معد يكرب لعلي — ع — وكان يظن انه لا يثبت له احد من شجعان العرب فثبت له علي — ع — وعلا عليه (٢) ورأى عمرو منه ما لم يكن يحتسبه فأفلت من يده بجريمة الذقن وفر هارباً ناجياً بنفسه بعد ان كاد علي يقتله وفر معه رؤساء مذحج وفرسانهم وغنم المسلمون اموالهم وسبيت ذلك اليوم ريحانة بنت معد يكرب اخت عمرو فأدى خالد بن سعيد بن العاص فداءها من ماله (٣) .

مصطفى جواد

---

١) العقد الفريد « ١ : ١٠٢ » (٢) هكذا ورد في « ٣ : ١٢٨ » من شرح ابن ابي الحديد وفي ص٩ من كتاب ابراهيم المنذر الى المجمع العلمي ان « علا عليه » خطأ صوابه « علاه » وليس الشيخ المنذر الفاضل بمصيب لانها لغة قرآنية قال تعالى : « وما كان معه من آله » اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » فعداه بـ « على » فان احتج بانه لم يرها في كتب اللغة — وذلك هجيراه — ففي المصباح المنير « وعلوت على الجبل . وعلوت اعلاه بمعنى ايضا » . (٣) شرح ابن ابي الحديد « ٣ : ١٢٨ » .